الفصل الثالث

في قرار مكين
إلى قدرٍ معلوم

obeikandl.com

obeikandl.com

في قرار مكين

وتظل آيات الله تتجلى، أينما التُمِست في الأرحام، وتملأ النفس دهشة وخشوعاً!

تتجلى في حوض المرأة..

فأية قدرة مبدعة حكيمة تلك التي قضت أن تودع الرحم، مهدَ الحياة البشرية، في حصن منيع ذي جدر عظمية متينة.. من عظم العجز وعظم العصعص في الخلف ومن عظمي الحرقفة في الجانبين والأمام حيث يلتحمان معاً في عظم العانة، فإذا الحوض يحفظ الرحم وقناتيْ الرحم والمبيضين، وإذا هو يقيها الصدمات؟!

ثم تمتد تلك القدرة إلى حوض المرأة، فتنسق حجمه وشكله، كي يلائم نمو الجنين أثناء الحمل، وكي يتيح له فيما بعد ولادة سهلة!

فإذا تجويف حوض المرأة متسع وقصير، بينما تجويف حوض الرجل أضيق وأعمق!

وإذا مدخل الحوض في المرأة بيضوي متسع، بينما هو في الرجل ضيق يكاد يكون مثلث الشكل!

وإذا مخرج الحوض في المرأة عند عظم العانة منفرج الزاوية متسع، بينما هو في الرجل حاد الزاوية ضيق!

وإذا عظام الحوض في المرأة تتجلى فيها الرقة والنعومة!

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

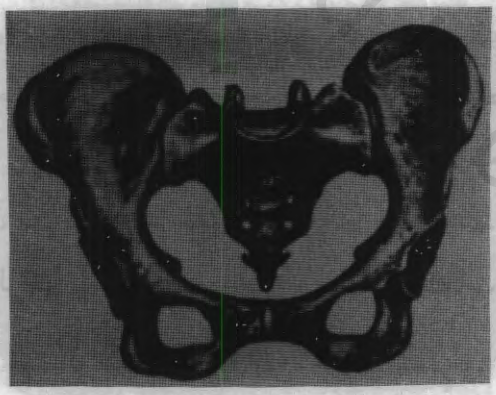

● حوض المرأة

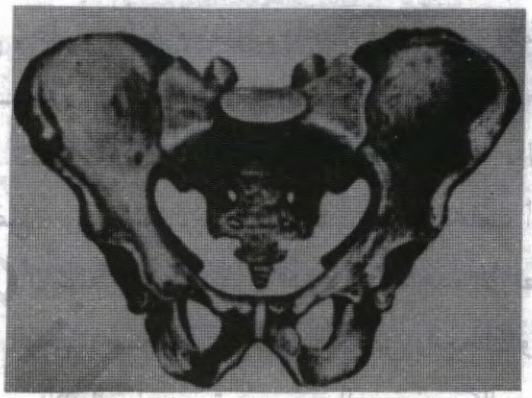

● حوض الرجل

حسبك أن تعلم، لتدرك روعة الإبداع في حوض المرأة، بأن قطر مدخل الحوض إذا ضاق سنتمترات قليلة قد لا تصل الثلاث، فإن الولادة لن تكون يسيرة، وقد يتخطف الموت الجنين والأم، إن لم تدركهما رحمة من الله فتمد لهما يد طبيب، يخرج الجنين من الرحم بما أطلق عليه العلماء اسم العملية القيصرية (استخراج الجنين من أحشاء أمه بالجراحة)!

* * *

تأمل تلك الأفانين من عجائب القدرة في تثبيت الرحم ـ على هيئة هرم مقلوب قاعدته في الأعلى وقمته في الأسفل مع انحناءة خفيفة نحو الأمام ـ بواسطة أربطة مرنة، تشدّ الرحم من الأمام والخلف والجانبين والأعلى والأسفل، وتمسك الرحم أن تنقلب إلى الخلف أو إلى الأمام وأن تهبط إلى الأسفل، كما تساند هذه الأربطةَ في تثبيت الرحم وحمايتها عضلاتُ الحوض والعجان والبطن وبعض الأعضاء في تجويف الحوض كالمثانة والمستقيم. . فإذا الرحم مثبتة كأنها جسر معلق مرن، على هيئة تتيح لها الحركة وتلائم الحمل والولادة!

أرأيت لو أن الرحم انقلبت من مكانها إلى الخلف، إذن لسُدَّت الطريق أمام النطاف المنطلقة إلى الرحم، في طريقها إلى البويضة، ولغدت المرأة عقيماً!

ولو أن الرحم انقلبت، أثناء الحمل، إذن لأجهضت المرأة ولسقط الجنين!

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

* * *

أفـلا ينـظرون إلى (حـويصلة غراف) التي تضم البويضة الناضجة في المبيض، كيف تتحول إلى (الجسم الأصفر) ـ بعد أن تنفجر وتقذف البويضة إلى بوق قنـاة الرحـم حيث تُخصَب ثم تنطلق إلى الرحم وتنغرس فيه ـ ثم تبـدأ بإفـراز (هـورمـون البـروجستـرون)، .حتى تنشأ المشيمة فيما بعد، فيضمر ويتلاشى، وتمضي المشيمة في إفـراز (هـورمون البروجسترون) حتى نهاية الحمل، ليكبح هذا الهورمون تقلصات الرحم العنيفة، فإذا الرحم تهدأ، وإذا هي تطوي جوانبها بحنان ورقّة على ما فيها من نطفة أمشاج حتى تغدو علقة فمضغة فجنيناً يخرج للدنيا بشراً سوياً!

﴿**أَلَـمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . فَجَعَلْنَـاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ**﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢١].

صور من الإبداع والحكمة، يذهل لها المتأمل!

ثم هم يطلبون الدليل!

ولو أنصفوا، لأبصروا الدليل بين أيديهم، أينما التمسوه!

ولو أنصفوا لناجى أحدهم نفسه: كيف يكون هذا كله صدفة وخبط عشواء؟!

ثم لخالجه اليقين بأن هذا كله لا يمكن إلّا أن يكون من صنع يد مهيمنة قادرة حكيمة!

* * *

كيف لا تبهرهم عظمة يد القدرة، في خلق الرحم، وهم يرون وزنها في الفتاة ٥٠ غراماً تقريباً، ويرون حجم تجويفها لا يجاوز ٢,٥ من السنتمترات المكعبة فحسب؟!

فإذا تزوجت الفتاة، وقُدِّر لها أن تحمل، فإن الرحم تظل محصنة في الحوض، في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، التي يتخلق فيها الجنين.

حتى إذا تخلقت أعضاء الجنين، ولم يبق سوى أن يزداد الجنين في الوزن ويكبر في الحجم، برزت الرحم من الحوض إلى البطن، في نهاية الشهر الثالث من الحمل، ووصلت السرّة في نهاية الشهر الخامس، وأشرفت على عظم القصّ في الشهر التاسع، حتى يغدو

حجم تجويف الرحم في نهاية فترة الحمل ٧ آلاف سنتمتر مكعب، أي أكبر من ذي قبل بثلاثة آلاف ضعف!

فإذا الجنين، في الأشهر الثلاثة الأولى، محصن في الحوض، تحميه عظام الحوض وعضلات جدار الرحم، ويذود عنه السائل الأمنيوني الصدمات!

وإذا عضلات بطن الأم، حين يبرز الجنين من الحوض إلى البطن، تقيه الأذى!

وإذا النطفة الأمشاج تنمو في قرار مكين، حتى تستوي خلقاً سوياً سميعاً بصيراً!

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٣].

* * *

تناديهم آيات ربهم، أينما التمسوها، في أنفسهم!

فما بال الإنسان يفرّ من هدى ربه، وينأى بنفسه عمَّا استودع فيه من فطرة، فإذا هو حائر الخطى مضيّع الفؤاد؟!

obeikandl.com

إلى قدر معلوم

﴿أَلَـمْ نَخْلُقْكُم مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . فَجَعَلْنَـاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ . إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ . فَقَـدَرْنَـا فَنِعْمَ القَـادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣].

تروعك الآيات من عجائب القدرة وأنت تراها مبثوثة أمام عينيك، أينما التمستها في الجنين، فتهتف، بدهشة وخشوع: سبحان الله!

* * *

فأية قدرة عجيبـة، تلك التي امتدت إلى الجنين، فسوّته، ثم جعلته يستقر في الرحم، إلى أجل مرسوم.. أربعين أسبوعاً، أي ما يقارب عشرة أشهر قمرية أو تسعة أشهـر شمسية ﴿وَنُقِـرُّ فِي الأَرْحَـامِ مَا نَشَـاءُ إِلىٰ أَجَـلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥]؟!

يقول العلماء:

ـ إذا جاوز الحمل أجله، وزاد عن ٤٢ أسبوعاً، سمي بالحمل المديد. وإن المشيمة في الحمل المديد، ما تلبث أن تهرم وتعجز عن تزويد الجنين بما يسد حاجته من الأكسجين. وحَسْبُ الحمل المديد من الأذى أن الولادة فيه لن تكون يسيرة لضخامة رأس الجنين.

ثم يضيف العلماء:

ـ أما إذا لم يستوف الحمل أجله، ونقص عن ٣٨ أسبوعاً، فإن الوليد يعدّ خديجاً، ويغدو هدفاً للإنتانات الجرثومية، لقلة مقاومته ونقص مناعته، وقد يهلك إذا لم يتلقّ عناية خاصة!

فهل كان عبثاً، بدون هدف يبتغى ولا غاية تراد، بقاءُ الجنين في الرحم، أربعين أسبوعاً، أم كان إعجاز يد قادرة حكيمة، قدّرت فترة الحمل ﴿**إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [المرسلات: ٢٢]، ليستوي فيها الجنين خلقاً سويّاً ثم ينطلق بعدها إلى الحياة ﴿**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**﴾ [المرسلات: ٢٣]؟!

* * *

ما برح الجنين يطوي بين جنبيه الصغيرين أسـرارا شتى من عجائب القدرة!

احتـار العلماء، فيما مضى، في الرحم كيف تضم جنبيها على الجنين تسعة أشهر شمسية كاملة، حتى إذا انقضت، تفجر المخاض، فجأة، في الرحم، وولد الجنين!

اعتقـد العلماء، بأن الغدة النخامية في المخ تفرز عادة (هورمون أوكسيتوسين ـ Oxytocin) المثير لتقلصات عضلات الرحم. فإذا حملت المرأة، فإن المشيمة تفرز (هورمون بروجسترون ـ Progesteron) ليكبح تأثير هورمون الغدة النخامية، فتهدأ الرحم!

فمن الـذي يلهم هذا التـوازن الهـورمـوني الذي يحفظ استقـرار الجنين أن ينقلب، فجأة، حين ينقضي الأجل المرسوم ويحين موعد الولادة، فينقص (هورمون بروجستـرون) ويثير (هـورمـون أوكسيتوسين)، عضلات الرحم، فينشأ المخاض، والولادة؟!

أهي الصدفة تفعل كل هذا؟!

أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

[طه: ٥٠]، أودع الرحم هذه السنة، فلا تحيد عنها؟!
﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣].

* * *

أرأيت إلى الآية الكريمة ١٥ من سورة الأحقاف ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وإلى الآية الكريمة ٢٣٣ من سورة البقرة ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾؟!

أنّى لمحمد بن عبد الله، قبل أربعة عشر قرناً، معرفة علم الأجنة، حتى تكشف له الحقيقة العلمية الراسخة بأن أقل مدة من الحمل تهب الوليد أدنى فرصة من البقاء حياً هي ستة أشهر، تعدّ الولادة قبلها إسقاطاً ليس للوليد فيها أي نصيب من الحياة؟!

بل هي كلمات، تلقاها محمد عمن خلق الخلق فأبدع!

* * *

فمتى يؤوب الإنسان إلى هدى ربه، فيستيقظ قلبه من غفلة المتاع؟!

ومتى يُبقي الإنسان فطرته موصولة بالسماء، فإذا هو يحيا في مرضاة الله، وإذا هو يتخذ لنفسه طريقاً إلى الله، ويمضي صعداً إلى الدار الآخرة؟!

أم ينتظر الإنسان ساعة يؤتى به، عنوة، ليحاسب؟!

فإذا قلبه يكاد ينخلع بين جنبيه من الهلع، حين يُنشر كتابه بين يديه، ثم يقال له: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ [الإسراء: ١٤].

وإذا هو يدعو، ويدعو!

ولكن هيهات!

﴿**فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُم وَلا هُم يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ [الروم: ٥٧].